**المحاضرة الثالثة: الأساطير الشعبية**

**أولا- مفهوم الأساطير**

**أ- لغة:**

الأساطير كلمة مشتقة من الفعل «سطر«سَطَرَ: السَّطْرُ والسَّطر: الصف من الكتاب... والأساطير: الأباطيل. والأساطير: أحاديث لا نظام لها واحدتُها اسطارٍ واسطَارةٍ، بالكسر، وأُسْطِيرٌ وأُسْطِيرَةٌ وأُسْطُورٌ وأُسْطُورَة، بالضم. وقال قوم: أساطير جمع أَسْطَارٍ وأسطارٌ جمع سَطَرٍ... وسَطَّرَهَا ألفها. وسَطَّرَ علينا: أتانا بالأساطير. الليث: يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل. يقال: سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها، وتلك الأقاويل الأساطير والسُّطُر»

واستعمل القرآن الكريم مصطلح (أساطير) بصيغة الجمع، ولم يرد هذا المصطلح وحده وإنّما ورد مضافا إلى (الأَوَّلِينَ) فأصبح (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) وقد ورد تسع مرّات في القرآن الكريم، قال عز وجل في محكم التنزيل ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَّفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِم وَقْرًا وَإِنْ يَّرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية 25.

**ب- اصطلاحا:**

تعددت الأساطير بتعدد الباحثين، إذ يحاول كل واحد منهم تعريفها حسب الحقل العلمي يشتغل فيه.

تتحدث الأساطير عن الآلهة والأبطال، وعن كيفية ظهور السماء والأرض والبشر والوحوش... «فالأسطورة حكاية تروي عن الأزمنة التي كانت قبل بدء البدايات كلّها، وعن الأحداث التي مضى على حدوثها زمن غير معروف، وعن الآلهة والأبطال، وظهور السماء والأرض والبشر والوحوش، والنباتات والطيور والحياة والموت»

ويرى أندري يولس (André Jolles) أن الأساطير تتموقع في «اللاوقعي ولا يمكن التساؤل إن كانت صادقة أم لا؟» أما المتبحر في الميثولوجيا ميرسيا إيلياد فيرى أنّها: «قصة مقدّسة تروي حدثا وقع في الزمن البدئي، الزمن الأسطوري، وبعبارة أخرى تروي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل كائنات عليا، لا فرق إن كانت هذه الحقائق كليّة كالكون أو جزئية كالجزيرة أو نوعا من النبات...»

**ثانيا- أنواع الأساطير**

**أ- أساطير الخلق (الكون)**

يحاول هذا النوع من الأساطير «توضيح بدء الحياة وما مرت به من مراحل حتى اكتملت في النبات والإنسان والحيوان» أي إن أساطير الكون هي التي تتحدث عن الإنسان والحيوان والنبات.

ويسمي ميرسيا إيلياد هذا النوع من الأساطير بالأساطير الكوسموغونية، وهي النموذج المثالي لكلّ "خلق" (Création) والنموذج المثالي لكلّ "فعل" (Faire)، لأنّه عمل إلهي مقدّس في بنيته يقوم هذا النوع من الأساطير إذن بتكرار الأفعال التي قامت بها الآلهة في الزمن الأوّل، لذلك تعد من الأساطير النموذجية المثالية. ومثال عن ذلك أسطورة: كيف نشأ الكون؟ تقول هذه الأسطورة، إنّ الكون لم ينشأ دفعة واحدة وإنّما نشأ تدريجيا، بدءا بقدرة الله ثم على الهواء العلم الغلم الظلمة الصخرة الثور ثم عودة إلى قدرة الله.

**ب- أساطير الطقوس**

الطقوس هي «فعاليات وأعمال تقليدية لها في الأغلب علاقة بالدين والسحر، يحدد العرف أسبابها، وأغراضها، والطقوس دائما مشتقة من حياة الشعب الذي يمارسها، ويعتقد البدائيون أن أداءها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعية، والمعبودات، وعدمه يسبب غضبهم ويجلب نقمتهم، وتجري في الطقس فعاليات مختلفة، كالرقص وتقديم القرابين ونحر الأضاحي، وأداء الصلوات وترديد التراتيل» ويعني هذا أن الطقس عبارة عن أفعال وممارسات لها علاقة بالدين والسحر، ترافقه مجموعة من الأفعال كالرقص، وتقديم القرابين...«وإذا كانت الطقوس تختص بالأفعال التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع رخاءه ضد القوى المتعددة المهولة التي تحيط بالإنسان، فإن الأسطورة الطقوسية Ritual Myth تمثل الجانب الكلامي لهذه الطقوس» مثل طقوس الاستسقاء أنزار، المرتبط بأسطورة عروس ملك المطر.

**ج- أساطير التعليل والتفسير**

عرفت نبيلة إبراهيم هذا النوع من الأساطير على أنها: « تلك التي يحاول الإنساني البدائي عن طريقها أن يعلل ظاهرة تسترعي نظره ولكنّه لا يجد لها تفسيرا مباشرا ومن ثم فهو يخلق حكاية أسطورية تشرح سر وجود هذه الظاهرة» أي أنها نوع يحاول إيجاد تعليل وتفسير لمختلف الظواهر المحيطة بالإنسان «ومن الأساطير التعليلية سائر الأساطير التفسيرية المجيبة عن تنوع ما في العالم من الكائنات».

مثال عن ذلك أسطورة الزلازل التي تفسر لنا كيف تزلزل الأرض، حيث يروى أنه عندما تتحرك شعرة من ثور البحر تزلزل الأرض...

**د- أساطير المسخ**

المسخ «هو تحول من الحالة الأعلى إلى الحالة الأدنى» أي أن المسخ هبوط من الرقي إلى الانحطاط، وقد ميّز خليل أحمد خليل بين التحوّل والمسخ، يقول: «ويختلف التحوّل عن المسخ بأنّه لا يتضمن الانتقال الحصري من مرتبة عليا إلى مرتبة دنيا، فهو قد يكون تحولا ارتقائيا أو تحولا انحطاطيا أو تحولا محايّدا. والتحول يشمل الأشياء والبشر على السواء. بينما ينحصر المسخ في تحويل البشر إلى حيوانات أو أشياء» أي أن المسخ يختلف عن التحول في كونه عبارة عن انحطاط أي هبوط من الحالة الأعلى إلى الحالة الأدنى مثل تحول البشر إلى حيوانات، بينما المسخ قد يكون ارتقائيا أو انحطاطيا.

وقد ورد المسخ في الأساطير العشتروتية، إذ نجد أنّ جلجامش قد رفض مبادلة الحبّ لعشتروت، لأنّها سبق وأن نكلت بعشاقها الستّة، فتموز لا يزال يبكي سوء طالعه، أما العشيق الثاني فهو الراعي الذي تحول إلى طائر مكسور الجناحين، وقد مسخ عشيقها الثالث أسدا، أما حبيبها الرابع فقد مسخ حصانا، أما العشيق الخامس فقد مسخ ذئبا، أما عشيقها البستاني السادس فقد تحوّل إلى طائر جارح.

**ه- أساطير الصالحين (الأولياء)**

بطل هذا النوع من الأساطير «مزيج من الإنسان والإله، وإذا كانت مهمة البطل الإله هي تنظيم الكون والمحافظة على الظواهر الطبيعية التي تعود على الإنسان بالخير، فإن مهمة البطل المؤله تختلف عن ذلك، فهو بما له من صفات إلهية يحاول أن يصل إلى مصاف الآلهة، ولكن صفاته الإنسانية تشده دائما إلى العالم الأرضي».

ويرى محمد عجينة أنّه قد «يغدو الإنسان وأعماله محورا للأسطورة عندما يتحول في المقول أو المكتوب من السرد القصصي إلى كائن أسطوري أو شبه أسطوري، إما لاتسامه ببعض السمات الخارجة عن مجرى العادة والمألوف من حيث صورته الجسمانية أو من جهة ما قد ينسب إليه من قدرة على إتيان بعض الأعمال البطولية المتعلقة بأصل بعض المؤسسات الإنسانية» فالإنسان يصبح شخصية أسطورية بشكله الخارجي كضخامة جسمه مثلا، أو بأعماله البطولية الخارقة.